السياسة الفرنسية تجاه الشرق الاوسط ما بعد الحرب الباردة
للطالب عامر محمد معاذ فارس- جامعة بغداد – ٢٠٠٨

عرض
أ.م.د عامر كامل احمد(*)

على الرغم من العمق التاريخي للحضور الفرنسي في منطقة الشرق الاوسط الذي يعود الى عهد الملك شارلمان الذي أسس صداقات مع الخليفة العباسي هارون الرشيد الا ان مقارنته بالوجود البريطاني يعد ضعيفا ومع ذلك حاولت فرنسا ان تتغلغل الى المنطقة من خلال اتفا قية سايكس بيكو ١٩١٦ وان تسيطر على كل من سوريا ولبنان .

بعد الحرب العالمية الثانية وبسبب السياسات التي اتبعتها الجمهورية الرابعة بانحيازها الى الكيان الصهيوني واشتراكها في العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ واستمرار احتلالها الجزائر واجهت فرنسا صعوبات في بناء علاقات طبيعة مع دول المنطقة الا ان التحول حصل بعد وصول الجنرال ديغول الذي اتخذ خطوات جريئة عبر اتباعة سياسة حيادية ومتوازنه حيال الصراع العربي – الصهيوني .

زاد الاهتمام الفرنسي بمنطقة الشرق الاوسط بازدياد أهمية النفط لاسيما في عقد السبعينيات واتبعت فرنسا سياسة براغماتية لحماية مصالحها الا انها واجهت هيمنة امريكية على المنطقة لذلك حاولت التوفيق بين متطلبات الاستقلالية التي بنى مرتكزاتها الجنرال ديغول وبين عدم المواجهة مع الولايات المتحدة الامريكية :

بعد انتهاء الحرب الباردة بدأت سياسة فرنسا تجاه منطقة ا لشرق الاوسط بالتأكل في ظل انتشار امريكي في منطقة الخليج العربي واستطاعت الولايات المتحدة الامريكية من أبعاد الدور الاوربي والفرنسي بالذات وذلك من خلال تحالفات عسكرية مع دول المنطقة ، وأصبحت فرنسا لاتستطيع الصمود في كثير من الاحيان في مواجهة الاملاءات الامريكية .

مرت مسارات السياسة الفرنسية تجاه المنطقة بمحطات بدأت منذ النصف الثاني من تسعينيات القرن الماضي بعد وصول جاك شيراك الى سدة الرئاسة على ١٩٩٥ الذي استطاع بناء علاقات شخصية مع معظم رؤوساء دول وعندما شرعت الولايات المتحدة الامريكية في التحضير

(*) مركز الدراسات الدولية-جامعة بغداد

للحرب على العراق قادت فرنسا معسكر المعارضة في مجلس الامن لتعطيل استصدار أي قرار أممي يبيح استخدام القوة العسكرية وعلى الرغم من البرود الذي شاب العلاقات الامريكية الفرنسية على خلفية مواقفها المعارضه للحرب الا انها حرصت على استعادة نفوذها في المنطقة عبر البوابة اللبنانية بعد صدور قرار مجلس الامن ١٥٥٩ الذي أجبر القوات السورية المتواجدة في لبنان الى الخروج منها ونزع سلاح حزب الله .

تأتي دراسة الباحث في سياق التطورات التي شهدتها المنطقة بعد الحرب الباردة وانطلقت اطروحته من فرضية مفادها ان فرنسا استندت في علاقاتها مع م نطقة الشرق الاوسط ا لى الارث التاريخي والقرب الجغرافي ومصالحها الاقتصادية . الا ان المتغيرات الدولية في مرحلة ما بعد الحرب الباردة كان لها الاثر في تحجيم الدور الفرنسي والحد من الطموحات الهادفة الى لعب دورريادي مما جعلها تقبل بدور مكمل للدور الامريكي .

وللبرهنة على هذه الفرضية فقد قسم الباحث الدراسة الى سبعة فصول اربعة منها نظرية وثلاثة تطبيقية .

تناول في الفصل الاول الذي قسمه على ثلاثة مباحث تطرق في المبحث الاول الى مفهوم الشرق الاوسط وتداعياته حاول من خلاله اظهار الاهمية الجيوستراتيجية التي تحتلها المنط قة وما تختزنه من ثروات كامنه اما الثاني فتناول فيه الاهمية الزمانية والمكانية للشرق الاوسط التي اصبحت مسرحاً للصراع والتنافس الدولي في اثناء الحرب الباردة فيما حاول الثالث الى ابرا ز الموقع الاستراتيجي للمنطقة بوصفها حلقة وصل بين قارات العالم .

جاء الفصل الثاني ليبحث في تطورات السياسة الفرنسية فقد تضمن ثلاثة مباحث ايضاً سعى في المبحث الاول الى تقليب صفحات التاريخ من خلال التركيز على بدايات الاحتكاك الفرنسي بالمنطقة فيما تناول في الثاني السلوك السياسي الفرنسي تجاه المنطقة حتى انتهاء الحرب الباردة واختتم ا لفصل بمبحث ركز فيه على المبادئ والاهداف السياسية والاستراتيجية الفرنسية ومعوقاتها .

اما الفصل الثالث فقد بحث في عملية صنع السياسة الخارجية الفرنسية والعوامل الداخلية المؤثره فيها واحتوى على ثلاث ة مباحث الاول تناول فيه عملية صنع القرار والهياكل السياسية والمؤسسات التي تساهم فيها فيما تناول في المبحث الثاني دور العوامل الداخلية المؤثرة في السياسة الخارجية من احزاب بجناحيها اليمين واليسار ودور الرأي العام وجماعات الضغط مركزاً على اللوبي الصهيوني الذي يؤدي دوراً مهماً في هذه العملية فضلاً عن جماعات المصالح الفرنسية التي

تحرص على استخدام تأثيرها لمساندة دولة معينة .

جاء الفصل الرابع ليبحث تأثير العوامل الخارجية لاستكمال دور البيئة الخارجية التي اكد فيها الى ان العوامل الاقليمية المتمثلة بالاتحاد الاوربي والعوامل الدولية المتمثلة بالولايات المتحدة الامريكية كان لها تاثيرها الواضح في السياسة الفرنسية تجاه منطقة الشرق الاوسط .

اما الفصل الخامس والفصول التي بعدها فقد كانت فصول تطبيقية تناول فيها سياسة فرنسا تجاه الشرق الاوسط لما بعد الحرب الباردة وتاثير التحولات السياسية التي حصلت في بداية تسعينيات القرن الماضي وتضمن الفصل ثلاث ة مباحث ، الاول تناول تاثير الوضع الدولي الذي تمثل باستفراد الولايات المتحدة على العالم لاسيما منطقة الشرق الاوسط على السياسة الفرنسية فيما بحث في الثاني محطات التحول والتذبذب في سياسة فرنسا وتطرق في الثالث الى ابرز المدارس الفرنسية وتوجهاتها حيال منطقة الشرق الاوسط .

اما الفصل السادس فقد تضمن مبحثين ، الاول سياسة فرنسا تجاه الصراع العربي الاسرائيلي وكيف حاول الجنرال ديغول ان يؤسس سياسة متوازنه تجاه طرفي الصراع فيما بحث في الثاني سياسة فرنسا تجاه الازمة السورية – اللبنانية بعد ان حرصت فرنسا على التوافق مع الولايات المتحدة الامريكية باستصدار قرارمجلس الامن ١٥٥٩ .

واختتم الباحث اطروحته بفصل سابع ركز فيه على سياسة فرنسا حيال الخليج العربي والعراق وايران واحتوى الفصل على ثلاث ة مباحث تناول في الاول اهمية امن الخليج العربي للمصالح الفرنسية وركز في الثاني على الموقف الفرنسي من الحرب الامريكية على العراق اما الثالث فتضمن سياسة فرنسا تجاه ايران وبرنامجها النووي.

اختتم الباحث الاطروحة بلستنتاجات عدة وهي كالاتي .

١ –الشرق الاوسط كان ومايزال من اهم الاقاليم في العالم واكثرها عرضة للهزات العنيفة لذلك نرى هناك تنافساً دولياً للاستحوذ عليه وعدم ايجاد حلول للازمات العديدة التي يعاني منها.

٢ –ان المرتكز الاساس الذي تنطلق منه مواقف الامريكية والاوربية هي ان المنطقة باتت تمثل بالفعل مصدراً للتهديد العالمي بوصفها معملاً لتفريخ الارهابيين .

٣ –ان هاجس الامن الاوربي يضغط باتجاه الوجود الاوربي والفرنسي في المنطقة ، ففرنسا زادتها احداث ١١ ايلول عام ٢٠٠١ هموماً امنية على الرغم من عدم تهديدها مباشرة .

٤ –ان السياسة الفرنسية في منطقة الشرق الاوسط لم تستطع تحقيق اهدافها وواقع الحال

يفصح عن الرضوخ الفرنسي للادارة الامريكية .

٥ -كانت الحرب على العراق في عام ١٩٩١ الامتحان الصعب لفرنسا ولسياسته ا الشرق الوسطية ففي تلك الحرب بدت فرنسا وكانها فقدت أي قوة مقارنه للسيطرة الامريكية وذلك برضوخها للدخول الى الحرب.

٦ -ان تاثير السياسة الفرنسية في الشرق الاوسط محكوماً ومحدوداً بسبب محمودية الامكانيات الفرنسية مقارنة بالقوة الامريكية وبسبب هيمنها على مقدرات المنطقة والعالم.

٧ -ان دعوة فرنسا لتدخل الامم المتحدة ومؤسساتها في امور المنطقة كانت وما تزال ترتجي من وراء ذلك جر الولايات المتحدة الامريكية الى المرجعية الدولية لحل المسائل وخصوصاً في مجلس الامن حيث تتساوى الاصوات بالنسبة للدول الدائمة العضوية و من ثم تعوض فرنسا الضعف الذي تشعر به خارج اطار الامم المتحدة .

٨ -ان تراجع السياسة الفرنسية في الشرق الاوسط امام الزحف الامريكي المتواصل وخسا رتها المستمرة فيه ربما يعود الى:

- ضعف المواقف الفرنسية وترددها وعدم حزمها تجاه قضايا المنطقة.
- اهتمام فرنسا رسمياً وشعبياً بالشؤون الداخلية وهمومها.
- اعتماد فرنسا في علاقاتها الدولية في اغلب الاحيان على الشخصنة لا على العلاقات المؤسساتية مما ينعكس سلبياً على سياستها تجاه المنطقة.
- مواقف شعوب المنطقة المتشككة حيال اهداف السياسة الفرنسية واعتقادهم بعجز هذه السياسة عن تحقيق تلك الاهداف.
- عدم ظهور استراتيجية فرنسية مؤثرة وواضحة المعالم في تعاملها مع الشرق الاوسط اسوة بالولايات المتحدة الامريكية.
- اقتصار الدور الفرنسي على الادوار الهامشية وهو يأتي دائماً ضمن الدور الاوربي الذي ترسمه الولايات المتحدة والذي لايكاد يغادر حدود دفع الفواتير.

٩ -ان بعض حكومات منطقة الشرق الاوسط تنظر الى السياسة الفرنسية على انها لا تقف مع قضايا المنطقة وصراعاتها بمبدئية.

١٠-ان وصول ساركوزي الى رئاسة فرنسا والمعجب بالا نموذج الامريكي يشير الى عودة فرنسا الى بيت الطاعة الامريكي.